



صافحني ونحن نهم بالخروج من المسجد بعد صلاة الجمعة الماضية. وبعد السلام والتحية، سألني: تعرف فلاناً؟ قلت: نعم، ونعم الرجل. ورأيتها فرصة للحديث، فقلت له: يا ليتك تستفيد منه، فهو صاحب علم وخبرة.

وقتنا في ساحة المسجد قليلاً نكمل حوارنا، فصاحبى رجل طيب ومحلى - فيما أحسب، والله حسيبه - لكنه قليل البضاعة العلمية، وأقل منها في الخبرة والتجربة. ورغم ذلك، فإن صاحبى له تأثير ومحبون ومتابعون كثر هنا وهناك، وهذه الطامة!

قلت لصاحبى: فلان الذي سألت عنه رجل معروف وعاقل، وأنصحك أن تتبع كلامه وموافقه، بدلاً من آرائك التي -للأسف- أنت تتعلم فيها بأرواح ودماء المسلمين. فقال لي: فعلاً هو رجل متميز، ولكن لم أسمع به إلا قريباً. فقلت له: سبحان الله، هذا رجل معروف من عشرات السنين وله سابقة وفضل، الآن تسمع به؟

وأخذت أقول له: يا أخي، أنصحك أن تتطلع على تجارب السابقين في العمل الإسلامي، وخاصة المسلح منه، طالما أنت تتصدر لهذا الموضوع. وسألته: هل طالعت كتاب "دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" لأبي مصعب السوري؟ فأجاب: طالعت أجزاء منه! فقلت: وكتب د. كمال حبيب، الذي كان مشرفاً على د. أيمن الظواهري في شبابه؛ فقال لي: لم أسمع به! فقلت: طيب، حارثة الكلية الفنية التي تزعمها د. صالح سرية، هل طالعت شهادة طلال الأنصاري التي أخرجها في كتاب؟ فأجاب بالنفي!

فقلت: يا أخي، لا تتعلم وتجرب في دماء وأرواح الشباب المتحمس بسبب عدم مطالعتك وخبرتك بما حصل وحصل. وهنا فاجأني بقوله: أبداً أنا لم أدعم الغلة يوماً!

وعجبت لحالة الإنكار التي يعيش فيها، وأنه لا يدرككم تورط من الشباب بسبب دفاعه عنهم مدة، وكم من الدماء

أزهقت بسبب ترددتهم وجهلهم إزاء خطر الغلو والغلاة، وكم تأخرت الثورة في سوريا وتراجعت بسبب تصدر الغلاة للمشهد تحت دعواته وأمثاله للرق وحسن الظن مع الغلاة.

وذكرت صاحبي أنه قبل عدة سنوات طلب مني اللقاء مع أحد الفضلاء لتناقش في مقالي "محاولة للفهم"، والذي نشرته في 28/12/2007، وحضرت فيه الشباب المسلم والمحمس من الاندفاع للانخراط في كثير من التنظيمات المسلحة، وأنها سهلة الاختراق والتوجيه لما فيه مصلحة الأعداء ومضررة الإسلام والمسلمين. وفعلاً، ذهبت في الموعد المضروب، لكن محاوري توفى والده رحمة الله في نفس اليوم وتعذر اللقاء.

تفرقنا على وعد مني لصاحب أن أجهز له قائمة ببعض الكتب عن تاريخ العمل الإسلامي المسلح، حتى يطلع عليها ويستفيد، عليه يتوقف عن التجربة بأرواح ودماء الشباب، هو وأمثاله الكثر في عالمنا العربي والإسلامي.

فصاحبنا الطيب مجتهد في بعض الأبواب وال المجالات الدعوية والعلمية الدينية، وعنه حسن عبارة وبيان، لكن هذه المؤهلات لا تجيز له أن يتتصدر الشأن العام ويقود الجماهير والمعارك عبر "فيسبوك"، وهو غير مؤهل شرعاً لا من الناحية العلمية الدينية، ولا من الناحية الواقعية الدينية سياسياً وعسكرياً.

وقد سبق صاحبي عدد كبير من الناس ممن تتصدر قبل التأهل، وتعلم وجرب بأرواح ودماء الشباب. من هؤلاء، أبو محمد المقدسي. فقبل أن يختلف المقدسي مع تلميذه أبي مصعب الزرقاوي، وينكر عليه الغلو والتشدد والتهاون في الدماء، تورط (المقدسي) في ذلك في بداياته بالغلو في التكفير، والجراة على الفتيا في أموال ودماء معصومة. ومثله أبو قادة الفلسطيني؛ فقد تورط في رعاية الغلو في الجزائر حتى ألف فيه أبو مصعب السوري كتابه "مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر"، ومؤخراً كتب أبو مارية القحطاني -الشرعى الأول لجبهة النصرة سابقاً- عن الفارق الكبير والتحول الذى أصابه حين تحرر من أسر المدرسة العراقية الزرقاوية، وتعرفه على المدرسة القاعدية الخراسانية! وغيرهم كثير.

المهم أن حالة صاحبي ليست حالة خاصة، بل هذه حال كثير من الشباب الإسلامي المتمحمس الذي يمتلك إخلاصاً وغيره على الإسلام والأوطان والأعراض والثروات المنهوبة، لكنه مع الأسف فارغ من العلم الشرعي، عديم الخبرة والمعرفة بالتجارب السابقة، ولذلك سرعان ما تجذبه الشعارات الرنانة، والخطابات الملتئبة. واليوم، دخلت المقاطع المصورة على طريقة أفلام هوليوود كإحدى أهم وسائل الترويج والجذب والتجنيد، فأصبح الشباب يتطرفون بالجملة. بل اليوم تتجاوز هذه الحالة الشباب الغر والجاهل، لتصيب كثيراً من الرجال الذين قضوا سنوات طويلة في مسار العلم والدعوة. والسبب في ذلك قلة الخبرة والتجربة، والجهل بتاريخ العمل الإسلامي المسلح، وبدلأ من ذلك يتبنى أحلاماً ورغبات لما يحبه في واقع العمل الإسلامي، ويبني عليها أمجاداً وانتصارات وهمية، لا يستفيق منها إلا حين يصطدم بالواقع البئيس عبر كارثة كان يمكن تجنبها.

فقبل عام ونصف العام، جرت لي نقاشات عاصفة في إحدى مجموعات الحوار الإلكتروني مع أحد هؤلاء الإخوة الذين يرون الواقع بأحلامهم وأماناتهم وليس بعيونهم، عن خطر تنظيم "داعش" وضلاله.

وكان محاوري ينافح عن التنظيم بقوة. ولما تصاعد الخلاف واحتد، طوع مشرف المجموعة، مشكوراً، ودعانا إلى لقاء على العشاء، ولم يسفر اللقاء عن تحول في المواقف.

لكن بعد أشهر قليلة، وقع اغتيال "داعش" لأبي خالد السوري. وهنا تغير موقف صاحبنا بالكلية، وبدأ يرى بعينه ويتمس كارثية الغلو والخطر المدحى بالثورة السورية. واليوم أصبح معادياً لداعش، لكن بعد أن استفحلا شر التنظيم وتطاير أذاه. وقد كان يمكن له ولغيره ولسائر الناس معرفة الحقيقة لو تعلموا العلم الشرعي الصحيح، وارتبطوا بأهله من العلماء الثقات، وتفكيروا في دروس وعبر عشرات التجارب المسلحة والمتطرفة.

وعدم التعلم من الدروس وال عبر والتفكير في التجارب والأمثلة، لا يقتصر على شريحة أنصار القتال والجهاد، بل هو يمتد لسائر الحركات والتيارات والمدارس الإسلامية، وذلك لأن هذا من لوازم حالة الضعف والتخلف التي تعيشها الأمة الإسلامية من قرون.

ففي الأسبوع الماضي، وعلى هامش إحدى الندوات، دار حديث مع أحد القيادات الإسلامية السياسية عن ضرورة النقد الذاتي ومراجعة المسيرة. فكان رده أن الاستماع للنقد مهم وضروري.

وهنا تدخلت قائلًا: المشكلة يا سيدي أن الناس قالت ونقدت وكتبت، وجاءكم النقد من الداخل والخارج والمحب والكاره، فقد كتب لكم نقداً د. عبدالله أبو عزة، ود. عبدالله النفسي، ود. فريد الأنصاري وغيرهم، ولكنكم لم تردوا عليهم ولم توضحوا لنا هل تقبلتم النقد، أما مجرد الإصغاء فلا قيمة له إن لم يتبعه استفادة وتغيير متى كان صواباً. فسكت ولم يجبني! وإلى اليوم، ما يزال إسلاميون تصيبهم الكوارث بسبب تقصيرهم في تعلم الدروس وال عبر من التاريخ والتجارب الخاصة بهم وبغيرهم. وهذا جزء من السلبيات الواجب على إسلاميين التخلص منها، عبر التعلم والتدبر.

اقرؤوا التاريخ إذ فيه عبر * ضلّ قوم ليس يدرؤون الخبر**

[الغد الأردني](#)

المصادر: